

# الإحسان إلى غير المسلمين

## في ضوء مقاصد القرآن والسنة

د. محمد إقبال أحمد حسن فرحات

شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

الحمد لله الذي أمر المؤمنين بأن يعاملوا أهل الملل والأديان بالعدل، ولم يكتف بذلك بل تجاوز الأمر إلى التوصية بالبر بهم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار ومن تبعهم إلى يوم الدين

وبعد، فإن موضوع "الإحسان إلى غير المسلمين في ضوء المقاصد القرآنية"، من المواضيع الهامة جداً، والمرتبطة أساساً بالمقاصد العامة للقرآن الكريم في التعامل مع غير المسلمين؛ وبالذات أهل الذمة ومن يرجى إسلامهم وأهمية البحث تتبع من الرد على التشويه المتعمد لصورة الإسلام في وسائل الإعلام العالمية، وفي الكتابات التي تصدر في الغرب والشرق؛ تصور المسلمين على أنهم مجموعات من مصاصي الدماء، وقاطعي الرؤوس، مع النسيان والتجاهل المتعمد للدور الحضاري للمسلمين الذي بلغ الذروة في العصور الوسطى بشهادة المنصفين من علماء الغرب مثل (دراير)، العالم الأمريكي المشهور <sup>(1)</sup>، والمؤرخ الشهير المعاصر (ولز) <sup>(2)</sup>، والسر (مارك سايس)

(1) يقول دراير إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوهم إلى مناصب الدولة، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا بن ماسويه، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي ولد فيه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة انظر من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي، ص 91

(2) يقول ولز في صدد بحثه عن تعاليم الإسلام إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم،

و( ترنون ) و غيرهم من المنصفين الذين رسموا صورة للإسلام أقرب إلى الواقع ومعلوم أن مقاصد القرآن لم تلق العناية التي حظيت بها مقاصد الشريعة، فإمام الحرمين الجويني، والأئمة: والغزالي، والرازي، والآمدي، وعز الدين بن عبد السلام، والشاطبي، وابن تيمية، والطاهر بن عاشور، وعلال الفاسي، قد بذلوا جهوداً مميزة، ومنحوا موضوع مقاصد الشريعة - المتمثلة في الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وجعلوا الضروريات في حفظ النفس والعقل والدين والنسل والمال - عناية فائقة، وتكاد كلمة العلماء تقتصر على إبراز تلك المقاصد وبيانها على أساس أنها نفسها مقاصد القرآن.

ومن أوائل العلماء الذين تكلموا في مقاصد القرآن الإمام الغزالي وأفرد باباً في كتابه (جواهر القرآن في حصر مقاصد القرآن ونفائسه)، فقال سر القرآن ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضيين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع

ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة ، وثلاثة هي الروادف والتوابع

المغنية المتممة

أما الثلاثة المهمة فهي تعريف المدعو إليه ، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه وأما الثلاثة المغنية المتممة

**فأحدها:** تعريف أحوال المجيبين للدعوة ، ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة ،

---

وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة ، كما أنها إنسانية السمة ، ممكنة التنفيذ ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سبقتها أنظر من روائع حضارتنا ، للدكتور مصطفى السباعي ، ص 91 .

وكيفية قمع الله لهم وتكيله بهم ، وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب

**وثانيها :** حكاية أحوال الجاحدين ، وكشف فضائهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق ، وسره ومقصوده في جنب الباطل الافضاح والتفجير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير

**وثالثها :** تعريف عمارة منازل الطريق ، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد<sup>(3)</sup>.

ومن تدبر في قوله تعالى: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )<sup>(4)</sup> يتبين له أن الرحمة هي المقصد الأساس الذي بنيت عليه الرسالة المحمدية في جميع جوانبها العبادات، والأخلاق، والمعاملات، والعقوبات الشرعية، وأن هدفها صلاح وفلاح العباد في الدنيا والآخرة

وحفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث التي تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو رسول الرحمة المهداة ؛ الذي جاء برسالة عامة كافلة وكافية ووافية لجميع الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة "<sup>(5)</sup>

وعن عمرو بن أبي قرعة قال : كان حذيفة بالمدائن ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتاس من أصحابه في الغضب ، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة ، فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة ، فيقول سلمان حذيفة أعلم بما يقول ، فيرجعون إلى حذيفة ، فيقولون له : قد ذكرنا قولك لسلمان فما صدقك ولا كذبك ؟! فأتى حذيفة سلمان وهو في مبقلة<sup>(6)</sup> ،

(3) جواهر القرآن للغزالي ج 1 ص 23 .

(4) سورة الأنبياء 107 .

(5) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج 1/ص 91 ، حديث 100 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما .

(6) المبقلة موضع البقل، وأبقت الأرض خرج بقلا لسان العرب لابن منظور مادة بقل ، ج 1 ص 61

فقال: يا سلمان ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال سلمان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغضب ، فيقول في الغضب لناس من أصحابه ، ويرضى فيقول في الرضى لناس من أصحابه ، أما تنتهي حتى تورث رجالا حب رجال ورجالا بغض رجال وحتى توقع اختلافا وفرقة ، ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال "أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة " والله لتنتهين أو لأكتبن إلى عمر (7).

وعن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب ، هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمشون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش ما علمنا؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة ، لم يبق شجر ، ولا حجر ، إلا خر ساجدا ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإنني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهاهم به وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى في الشجرة ، فلما جلس مال في الشجرة عليه ، فقال انظروا إلى في الشجرة مال عليه ، قال فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم؛ فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فألتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا

(7) أخرجه أبو داود في سننه ج4/ص215 ، حديث 4659 ، وصححه الألباني ، في السلسلة ، ج 4 / 353 ، حديث 1758 .

من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : إنما اخترنا خيرة لك لطريقك هذا ، قال : أفأريتم أمرا أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه ، قال : أنشدكم الله أيكم وليمه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت (8) .

وروي أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز (9) جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال : بلى قال : فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع (10) .

ولقد فاض التاريخ الإسلامي منذ البعثة المحمدية بالبر في معاملاته كلها مع المسلمين ومع غيرهم ، وحرص الإسلام على أن يربي المسلمين على البر مع الناس جميعاً لا يمنعهم من ذلك اختلاف دين أو رأي ، انطلاقاً من قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

( 8 ) أخرجه الترمذي في سننه : ج 5/ص 590 ، حديث 3620 ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

( 9 ) العلهز : شيء كانوا يتخذونه في سنين المجاعة ، يخلطون فيه الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . غريب الحديث لابن الجوزي ج 2/ص 125 .

( 10 ) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج 4 ص 81 ، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية ج 6 ص 52 ، وصححه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج 2/ص 404 .

واقترضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي  
المبحث الأول الإحسان وتعريفه في اللغة والاصطلاح  
المبحث الثاني دليل مشروعية الإحسان  
المبحث الثالث أصناف غير المسلمين  
المبحث الرابع المقصد من الإحسان إلى غير المسلمين

## المبحث الأول

### الإحسان وتعريفه في اللغة والاصطلاح:

#### أولاً : الإحسان لغة :

قال ابن فارس الحاء والسين والنون أصل واحد ، فالحسن ضد القبح <sup>(11)</sup> . والإحسان ضد الإساءة ، وهو محسن ومحسان والحسنة ضد السيئة <sup>(12)</sup> .

#### ثانياً : الإحسان اصطلاحاً :

هو فعل ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به ، كإطعام الجائع ، أو يصير الفاعل به حسناً بنفسه <sup>(13)</sup> .

ويرى الراغب الأصفهاني أن الإحسان يقال على وجهين <sup>(14)</sup> :

**الأول** الإنعام على الغير ، يقال أحسن إلى فلان - بمعنى أنعم - .

**والثاني** إحسان في فعله ، وذلك إذا علم علماً حسناً ، أو عمل عملاً

حسناً ، وعلى هذا قول أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - الناس أبناء ما

يحسنون ، أي منسوبون إلى ما يعملون وما يعملونه من الأفعال الحسنة

والإحسان أعم من الإنعام ، قال تعالى : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ ) <sup>(15)</sup> وقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) <sup>(16)</sup> ، فالإحسان فوق

العدل ؛ وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ أقل مما له

( 11 ) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس مادة حسن ، ص 262 .

( 12 ) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مادة حسن ، ص 1535 .

( 13 ) الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ص 53

( 14 ) انظر المفردات ، للراغب الأصفهاني مادة حسن ص 236 .

( 15 ) سورة الإسراء : آية 7 .

( 16 ) سورة النحل آية 90 .

فالإحسان زائد على العدل ، فتحري العدل واجب ، وتحري الإحسان ندب وتطوع ، وعلى هذا قوله تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ) (17) ، وقوله عز وجل : ( وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ) (18) ، ولذلك عظم الله ثواب المحسنين ، فقال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ يُجِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) (19) .  
وبذلك نخلص إلى أن الإحسان هو الندب إلى فعل الخير بما ينفع الغير

### المبحث الثاني

دليل مشروعية الإحسان إلى غير المسلمين

#### أولاً : القرآن الكريم :

قوله تعالى: ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) (20)

#### ثانياً : السنة النبوية المشرفة :

لقد حفلت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تحرم إيذاء غير المسلم، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً " (21)

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن يهودياً كان يقال له فلان ، حبر كان له على رسول الله دنانير ، فتقاضاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال له " يا يهودي ما عندي ما أعطيك قال : فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني ، فقال صلى الله عليه وسلم " إذا أجلس معك فجلس معه فصلي :

( 17 ) سورة النساء آية 125 .

( 18 ) سورة البقرة :آية 178 .

( 19 ) سورة البقرة :آية 195 .

( 20 ) سورة الممتحنة آية 8 .

( 21 ) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الديات ، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم ، ج 6/ص2533 ، حديث 6914 .



رسول الله الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة ، وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتوعدونه ، ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما الذي تصنعون به ؟ فقالوا يا رسول الله يهودي يحبسك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره " فلما ترجل (22) النهار قال اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وشطر مالي في سبيل الله ، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوزاة محمد بن عبد الله مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وملكه بالشام ليس بفض ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ولا قول الخنا ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، وهذا ما لي فاحكم فيه بما أراك الله ، وكان اليهودي كثير المال (23) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " ألا من ظلم معاهدا ، أو انتقصه من حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة " (24) .

( 22 ) ترجل النهار أي، ارتفع النهار ، تشبيهاً بارتفاع الرُّجُل عن الصبي، النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير 2 203.

( 23 ) أخرجه الحاكم في المستدرك ج 2 ص 678 ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 1 184 ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج 6/ص 280 . 281 ، وأورده التبريزي في مشكاة المصابيح 3 1621 .

( 24 ) أخرجه أبو داود في سننه 3 170 ، حديث 3052 ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج 1 ص 532 ، برقم 445 .

## ثالثاً : فعل السلف :

عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته وأوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (25) .

## المبحث الثالث

## أصناف غير المسلمين :

أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين إلى جميع الناس في كل مكان وكل زمان ، قال تعالى : ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) (26) ، ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (27)

وانقسم الناس بعد رسالته إلى فريقين (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) (28) فالذي يقبل الإسلام هو المؤمن بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو مكانه ، والذي يرفض الإسلام ينتظمه اسم الكافر ، ومع ذلك فإن عدالة الإسلام تقوم على عدم التسوية بين أصناف الكفار قال تعالى : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) (29) ، وقال تعالى ( لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ) الآية (30)

( 25 ) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ج 1 / ص 469 ، حديث 1328 .

( 26 ) الأعراف 158 .

( 27 ) سبأ 28 .

( 28 ) التغابن 2 .

( 29 ) المائدة 82 .

( 30 ) آل عمران 113 .

والكافر يشمل

1. المُلحد وهو الذي لا يعترف بوجود الله تعالى
2. المُشرك : وهو الذي يعترف بوجود الله ولكن يُشرك معه في ألوهيته أرباباً آخرين
3. الوثني : وهو الذي يعتقد بوجود إله أو آلهة غير الله سبحانه و تعالى
4. من أنكر نبوة نبي الإسلام محمد ( صَلَّى الله عليه و آله وسلم) أو رسالته
5. من أنكر المعاد
6. وألحقَ الفقهاء بالكافر من أنكر ضرورياً - أي بديهياً - من ضروريات الدين

الإسلامي ، كالصلاة والحج ، ثم إن الكافر ينقسم إلى

1. الكافر الأصلي وهو الذي لم ينتحل الإسلام وولد على الكفر
2. الكافر المرتد وهو الذي انتحل الإسلام ثم كفر ثانية بعد إسلامه و الكافر المُرتدُّ ينقسم إلى

1. المرتد عن فطرة: وهو الذي ولد على الإسلام ثم كفر
2. المرتد عن ملة وهو الذي كان كافراً فأسلم ثم كفر
3. وينقسم الكفار من حيث الحكم عليهم بالنجاسة والطهارة إلى
4. الكتابيون - أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى ، والمجوس
5. المُشركون وهم ماعدا الكتابيين من أنواع الكفار ودار الإسلام تشتمل على المسلمين والذميّين والمستأمنين<sup>(31)</sup>.

1. فالذمي هو غير المسلم الذي قبل الرعية الإسلامية والتبعية لدار الإسلام بموجب عقد معها يسمى عقد الذمة ، ويشترط لهذا العقد أن يكون مؤبداً ، ويشترط أيضاً الإيجاب والقبول ، كما هو الشأن في إبرام العقود ، ويجوز إبرام

---

(31) انظر المكنز الفقهي لسواقة ( CD ) جامع الفقه الإسلامي، لمجموعة من الباحثين في الفقه الإسلامي، الإصدار الثاني، إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت

عقد الذمة لجميع أصناف غير المسلمين ( أهل الكتاب، والمجوس، وعباد الأوثان )، ويستثنى من غير المسلمين المرتد بالإجماع؛ لأن الحكمة من مشروعية عقد الذمة هي أن يترك الحربي القتال مع احتمال دخوله في الإسلام عن طريق مخالطته بالمسلمين، واطلاعه على شرائع الإسلام، وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال. (32)

2 والمستأمن طالب الأمان، وهو غير المسلم التابع لدولة غير إسلامية، إذا دخل إقليم الدولة الإسلامية بإذن منها، وهذا الإذن يسميه الفقهاء الأمان الموقت فالمستأمن إذن يقابل الأجنبي في اصطلاحنا القانوني، وله نفس الحقوق التي للذمي؛ لأنه كما قال الفقهاء بمنزلة الذمي مادام في دار الإسلام (33).

## المبحث الرابع

### المقصد من الإحسان إلى غير المسلمين :

إن المقصد الأساس من الإحسان إلى غير المسلمين هو استمالتهم للدخول في الإسلام، واستنقاذهم من النار يوم القيامة

### أولاً : المقصد من الإحسان إلى غير المسلمين من القرآن الكريم :

1. قوله تعالى : ( لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (34) :

( 32 ) انظر المبدع لابن مفلح ج 3 /ص313، ص398، ومجموعة بحوث فقهية للدكتور عبد الكريم زيدان ص64، وأحكام الذميين والمستأمنين لنفس المؤلف ص 23 - بتصرف .

( 33 ) انظر كشف القناع، للبهوتي، ج 3 ص 100، ومجموعة بحوث فقهية للدكتور عبد الكريم زيدان ص 75، 81 - بتصرف - وممن قال بذلك الإمام الشافعي في كتابه الأم ج 4 ص 283

( 34 ) سورة الممتحنة :آية 8 - 9.

قال القرطبي في تفسيره هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وقال ابن زيد كان هذا في أول الإسلام عند المودعة ، وترك الأمر بالقتال ثم نسخ ، وقال قتادة نسختها ( فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) (35)

وقيل كان هذا الحكم لعة، وهو الصلح، فلما زال الصلح بفتح مكة؛ نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى.

وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بينه وبينهم عهد لم ينقضه، قاله الحسن الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف، وقاله أبو صالح، وقال هم خزاعة ، وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، وقيل يعني به النساء والصبيان ؛ لأنهم ممن لا يقاتل ، فأذن الله في برهم، حكاه بعض المفسرين .

وقال أكثر أهل التأويل هي محكمة ، واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة قال " نعم " أخرجه البخاري ومسلم (36) :

وقيل إن الآية نزلت فيها ، روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر الصديق طلق امرأته قتيلة في الجاهلية ، وهي أم أسماء بنت أبي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش ، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق قرطا وأشياء ، فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم

( 35 ) سورة التوبة آية 5 .

( 36 ) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين، ج 5 ص 2230 ، حديث 5633 وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين والزوج، ج 2 ص 924 ، حديث 1003 .

فذكرت ذلك له فأنزل الله تعالى ( لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ) (37)

والراجح أنها محكمة كما قال مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ومما يدل على أنها محكمة أن قوله تعالى ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) ليس بعام في كل مشرك لأن أهل الكتاب من المشركين قبل أن يعطوا الجزية ؛ إذ قد وصفهم الله بصفات المشركين في قوله تعالى ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ . الآية ) (38) ، فقال تعالى فيها ( مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ) ، وقال تعالى عنهم : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ) (39) ، أي واتخذوا المسيح بن مريم رباً ؛ ولا شرك أعظم من اتخاذ ربِّ دون الله ، فإذا كانت الآية في قتل المشركين حيث وجدوا غير عامة ؛ جاز خروج هذه الآية منها أيضاً ، فقوله تعالى ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) مخصص ومبين بقوله تعالى ( حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) (40) في أهل الكتاب؛ إذ هم من المشركين ، ومخصص أيضاً ومبين بقوله تعالى ( لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ . الآية ) ، فهي إذاً محكمة مخصوصة في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، أو في قوم لهم عهد على ما ذكرنا ، وهي أيضاً مُخصَّصة بآية براءة فهي غير منسوخة (41) .

وعلى هذا فالآية عنت المخالفين لنا بالدين من جميع الملل والنحل ، وطلبت من المسلمين برهم ، فهذه الآية قاعدة مهمة في بر غير المسلمين

( 37 ) انظر أسباب النزول للواحي ص 211 ، وتفسير القرطبي ج 18/ص 59 .

( 38 ) سورة التوبة آية 29 .

( 39 ) سورة التوبة آية 31 .

( 40 ) سورة التوبة آية 29 .

( 41 ) الإيضاح ، لمكي بن أبي طالب القيسني ص 432 - 433 .

قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم وإن كانت الموالاة منقطعة منهم<sup>(42)</sup>.  
وقد بحث إمام المفسرين الطبري هذه المسألة<sup>(43)</sup> من نواحي النقل وأخيراً ختم بحثه بقوله ما نصه

"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك قوله تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله عز وجل عم بقوله (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ ، لأن بر المؤمنين من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح

وفي أحكام القرآن للشافعي - رحمه الله - مبحث هام نسوقه أيضاً بنصه لأهميته قال الله عز وجل (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) يقال - والله أعلم - :إن بعض المسلمين تأثم من صلة المشركين أحسب ذلك لما نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينهم وبينهم ونزل : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)<sup>(44)</sup> فلما خافوا أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ﴿٤٤﴾

(42) انظر أسباب النزول للواحدي ص 211 ، 212 ، وزاد المسير لابن الجوزي ج 8 ص 234 - 237

(43) تفسير الطبري 28 66 .

(44) سورة المجادلة آية 22 .

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . )

وقال الشافعي رحمه الله وكانت الصلة بالمال والبر والإقسطا ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه ، من الولاية لمن نهوا عن ولايته ، مع المظاهرة على المسلمين ، وذلك لأنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقسطا إليهم ، ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم ، بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهوا عن ولايتهم ، إذ كان الولاية غير البر والإقسطا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم فادى بعض أسارى بدر ، وقد كان أبو عزة الجمحي ممن من عليه ، وقد كان معروفاً بعداوته والتأليب عليه بنفسه ولسانه ، ومن بعد بدر على ثمانية بن أثال ، وكان معروفاً بعداوته ، وأمر بقتله ثم من عليه بعد أسره ، وأسلم ثمانية وحبس الميرة عن أهل مكة ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له أن يميزهم فأذن له فمارهم وقال الله عز وجل : ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ) والأسرى يكونون ممن حاد الله ورسوله (45) .

وهذا الذي صوّبه ابن جرير وصححه الشافعي رحمه الله الذي يقتضيه روح التشريع الإسلامي

أما وجهة النظر التي وعدنا بتقديمها فهي أن المسلمين اليوم تشترك مصالحهم بعضهم ببعض ، وتتوطين بمجموع دول العالم ، من مشركين ، وأهل كتاب ، ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش منعزلة عن المجموعة الدولية ، لتداخل المصالح وتشابكها ، ولا سيما في المجال الاقتصادي الذي يعد عصب الحياة اليوم ، سواء كان في مجال " إنتاج أو تصنيع أو تسويق فعلى هذا تكون الآية مساعدة على جواز التعامل مع أولئك المسلمين ومبادلتهم مصلحة بمصلحة ،

(45) أحكام القرآن للشافعي ج 2 / ص 192 - 194 .



على أساس ما قاله ابن جرير وبيّنه الشافعي وذكره الشيخ . محمد الأمين الشنقيطي . رحمة الله عليه . في حقيقة موقف المسلمين اليوم من الحضارة الغربية في عدة مناسبات من محاضراته وفي كتابه أضواء البيان نفسه ، وبشرط ما قاله الشيخ رحمة الله تعالى عليه : من سلامة الداخل أي عدم الميل بالقلب ، ولو بشرط آخر وهو عدم وجود مصلحة المسلم عند المسلمين أنفسهم ، أي أن العالم الإسلامي يتعاون أولاً مع بعضه ، فإذا أعوزه أو بعض دوله حاجة عند غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم ، ولم يظاهروا عدواً على قتالهم ، فلا مانع من التعاون مع تلك الدولة في ذلك ، ومما يؤيد كل ما تقدم عملياً ، معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده لليهود في خيبر <sup>(46)</sup> فمما لا شك فيه أنهم داخلون أولاً في قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ) <sup>(47)</sup> ومنصوص على عدم موالاتهم في قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) <sup>(48)</sup> ، ومع ذلك لما أخرجهم صلى الله عليه وسلم من المدينة ، وحاصرهم بعدها في خيبر ، وفتحها الله عليه وأصبحوا في قبضة يده ، ولم يكونوا بعد ذلك في موقف المقاتلين ، ولا مظاهرين على إخراج المسلمين من ديارهم ، عاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقسط ، فعاملهم على أرض خيبر ونخيلها ، وأبقاهم فيها على جزء من الثمرة كأجراء يعملون لحسابه وحساب المسلمين ، فلم يتخذهم عبيداً يسخرهم فيها ، وبقيت معاملتهم بالقسط كما جاء في قصة ابن رواحة . رضي الله عنه . ، لما ذهب يخرص عليهم ، وعرضوا عليه ما عرضوا من الرشوة ليخفف عنهم ، فقال لهم كلمته المشهورة

(46) انظر فتح الباري لابن حجر ج 4 ص 442 ، باب استئجار المشركين عند الضرورة .

(47) سورة الممتحنة آية 1 .

(48) سورة المائدة آية 51 .

والله لأنتم أبغض الخلق إليّ، وجئتكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولن يحملني بغضي لكم ولا حبي له أن أحيي<sup>(49)</sup> عليكم ، فإما أن تأخذوا بنصف ما قدرت، وإما أن تكفوا أيديكم ولكم نصف ما قدرت، فقالوا له بهذا قامت السماوات والأرض، أي بالعدالة والقسط ، وقد بقوا على ذلك حتى نهاية زمنه صلى الله عليه وسلم وخلافة الصديق ، وصدرًا من خلافة عمر حتى أجلاهم عنها ، ومثل ذلك المؤلفة قلوبهم أعطاهم صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ، وأعطاهم الصديق حتى منعهم عمر رضي الله عنه

وفي الختام إن أشد ما يظهر وضوحاً في هذا المقام ولم يدع أحد فيه نسخاً قوله تعالى ( وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا )<sup>(50)</sup> .

فهذه حسن معاملة وبر وإحسان لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ولم يقاتل المسلمين ، فكان حق الأبوة مقدماً ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك وكذلك أيضاً في نهاية هذه السورة نفسها قوله تعالى : ( فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ )<sup>(51)</sup> ثم قال تعالى ( وَءَاتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا ) أي أتوا المشركين أزواج المؤمنات المهاجرات ما أنفقوا على أزواجهن بعد هجرتهن ، فبعد أن أسلمت الزوجة وهاجرت وانحلت العصمة بينها وبين زوجها الكافر وبعدت عنه بالهجرة وفاتت عليه ولم يقدر عليها يأمر الله المسلمين أن يؤتوا أزواجهن وهم مشركون ما أنفقوا من صداق عند الزواج ونحوه ، مع بقاء الأزواج على الكفر ، وعجزهم عن

(49) الحيف الجور والظلم النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ج 1 ص 469 .

(50) سورة العنكبوت آية 8 .

(51) سورة الممتحنة آية 10 .

استرجاع الزوجات ، وعدم جواز موالاتهم قطعاً لكفرهم ، وهذا من المعاملة بالقسط، والعلم عند الله تعالى (52)

## 2 ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ) (53)؛

اختلف المفسرون فيمن نزلت على قولين أحدهما نزلت في علي بن أبي طالب ، آجر نفسه ليسقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح ، فلما قبض الشعير ، طحن ثلثه ، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه ، فلما استوى أتى مسكين فأخرجوه إليه ، ثم عمل الثلث الثاني ، فلما تم ، أتى يتيم فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي ، فلما استوى ، جاء أسير من المشركين فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك جائعين ، فنزلت هذه الآيات ، رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني : أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري ، صام يوماً فلما أراد أن يفطر ، جاء مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة ؛ وبقي له ولأهله رغيف واحد ، فنزلت فيهم هذه الآية ، قاله مقاتل

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك ، قال وهذا منسوخ بآية السيف وليس هذا القول بشيء ، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً ، وهذا محمول على صدقة التطوع ، فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار ذكره القاضي أبو يعلى (54) .

## ثانياً : المقصد من الإحسان إلى غير المسلمين من السنة النبوية :

1 . حدثنا سليمان بن داود المهري أخبرنا ابن وهب حدثني أبو صخر المدني أن صفوان بن سليم أخبره عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ألا من

(52) أنظر أضواء البيان ج 8 / ص 90 - 96 .

(53) سورة الإنسان آية 8 .

(54) أنظر أسباب النزول للواحي ص 225 . وزاد المسير : 8 / ص 432 - 434 .

ظلم معاهدا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة" (55).

2 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا :، قال " في كل كبد رطبة أجر" (56) ، يقول شارح الحديث ابن حجر في الفتح ، فقوله ( في كل كبد رطبة أجر ) أي كل كبد حية ، والمراد رطوبة الحياة ، أو لأن الرطوبة لازمة للحياة فهو كناية ، ومعنى الظرفية هنا أن يقدر محذوف ، أي الأجر ثابت في إرواء كل كبد حية ، وفيه الحث على الإحسان إلى الناس ، لأنه إذا حصلت المغفرة بسقي الكلب فسقى المسلم أولى ، واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركون ، وينبغي أن يكون محله إذا لم يكن هناك مسلم فالمسلم أحق ، وكذا إذا دار الأمر بين الآدمي والبهيمة واستويا في الحاجة فالآدمي أحق والله أعلم (57)

### ثالثاً : المقصد من الإحسان إلى غير المسلمين من فعل الصحابة والتابعين :

أولاً يروي أبو عبيد في كتاب الأموال حديثاً عن محمد بن كثير عن أبي رجاء الخراساني عن جسر أبي جعفر قال شهدت كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى بن أرطاة قرئ علينا بالبصرة أما بعد فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا ، فضع

( 55 ) أخرجه أبو داود في سننه ج 3 ص 170 ، حديث 3052 .

( 56 ) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، حديث 2363 .

( 57 ) فتح الباري ، لابن حجر ج 3 ص 291 .

الجزية على من أطاق حملها ، واخل بينهم وبين عمارة الأرض ، فإن في ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين، وقوة على عدوهم وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ، فلو أن رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبته ثم ضيعناك في كبرك قال ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه . (58)

**ثانياً** ويروي أبو يوسف في كتابه الخراج نص معاهدة الصلح بين خالد بن الوليد وأهل الحيرة . وكانوا مسيحيين . فذكر فيها . وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقاموا بدار الإسلام (59).

**ثالثاً** وذكر أبو يوسف في كتابه الخراج قصة الشيخ اليهودي الذي كان يسأل الناس زمن عمر بن الخطاب فأخذه عمر إلى خازن بيت المال وقال له : انظر إلى هذا وضربائه فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم ، إني وجدت الله يقول : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ) [ التوبة 60 ] ، والفقراء هم المسلمون والمساكين هم أهل الذمة ، وهذا منهم (60)

( 58 ) الأموال لأبي عبيد ج 1/ص 57

( 59 ) الخراج لأبي يوسف ص 144 .

( 60 ) الخراج لأبي يوسف ص 126 .

**رابعاً** ومر عمر بن الخطاب وهو في طريقه إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن ينفق عليهم من بيت المال ، وأن يجعل لكل واحد منهم من يخدمه ويقوم على شؤونه (61) .

**خامساً** وفي عهد عثمان بن عفان كان أول كتاب كتبه إلى عماله ، أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم في أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة فلا يكونوا رعاة ، فإذا أعادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطفوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تتشوا بأهل الذمة فتعطفوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم العدو الذي تتتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء (62) .

**سادساً** وكتب عثمان إلى عمال الخراج : والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم ، والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم (63) .

( 61 ) فتوح البلدان للبلاذري ص 136 .

( 62 ) مقتل الشهيد عثمان للمالقي 1/ 44 .

( 63 ) تاريخ الطبري : 2/ 591 .

## الخاتمة:

نخلص من هذا البحث إلى أن

1. الإحسان بشكل عام كان هو محور صناعة الحضارة الإسلامية عبر العصور، منذ انطلقت هذه الدعوة من بين سطور هذا الكتاب الذي انبثقت من بين حروفه خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله
2. الدعوة إلى الله تتطور وتتجدد تبعاً لتطور عادات الناس وأعرافهم وميولهم ورغباتهم، والداعية الناجح الحكيم هو الذي يختار لكل عصر وسائله وأساليبه المناسبة له ضمن الثوابت الشرعية
3. الإحسان من أكثر الوسائل الناجعة التي يمكن أن يكون لها الدور الأساس في نشر الإسلام مستقبلاً، خاصة ونحن نعيش في عصر شوهت وطمست فيه المعالم المضيئة من ديننا
4. الوسائل القاصرة عن الغاية، والضعيفة، لا يمكن لها أن توصل إلى المقاصد في الوقت المناسب، ولا بالكيفية المطلوبة
5. استطاع الغرب أن يسترد الكثير من المواقع التي خسرها مع المسلمين، وذلك بقيامه بنفس الدور الذي قام به المسلمون الأوائل
6. الإحسان يعتبر من أقوى الوسائل لنشر الإسلام، لأنه يقدم للناس المثال الملموس الحي، بعيداً عن الوعظ والخطب في الهواء
7. نهضة الأمة عبارة عن حزمة منظومة متكاملة من القيم والأهداف، والإحسان من أهمها

## قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (1979) ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي ، وطاهر الزاوي ، دار الفكر ، ط2 ، بيروت
2. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد ، ( 1985 ) ، غريب الحديث ، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت .
3. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ( 1404 هـ ) ، زاد المسير لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ط3 ، بيروت .
4. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم . ( بدون تاريخ ) . الجواب الصحيح ، تحقيق على سيد صبحي ، مطبعة المدني ، مصر ، د. زيدان ، عبد الكريم ، ( 1982 ) ، أحكام الذميين والمستأنيين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
5. ابن حجر ، أحمد بن علي ، ( بدون تاريخ ) فتح الباري ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .
6. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، ( 1999 ) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط2 ، بيروت .
7. ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، ( 1400 هـ ) ، المبدع ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
8. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ( بدون تاريخ ) ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، بيروت .
9. ابن هشام ، عبد الملك ، ( 1411 هـ ) ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت .



10. أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، ( بدون تاريخ ) . سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
11. أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، ( 1998 ) ، الأموال ، تحقيق خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت
12. أبو يوسف . ( 1974 ) الخراج ، المطبعة السلفية ، ط2 ، القاهرة .
13. الألباني ، محمد بن ناصر ، ( 1988 ) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
14. البخاري ، محمد بن إسماعيل ، ( 1987 ) ، صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، ط3 ، بيروت
15. البلاذري ، أحمد بن يحيى ، ( 1403 هـ ) ، فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
16. البهوتي ، منصور بن يونس ، ( 1402 هـ ) . كشف القناع ، تحقيق هلال هلال ، دار الفكر ، بيروت .
17. البيهقي ، أحمد بن الحسين ، ( بدون تاريخ ) ، دلائل النبوة
18. الترمذي ، محمد بن عيسى ، ( بدون تاريخ ) ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
19. الخطيب التبريزي ، محمد بن عبد الله ، ( 1985 ) ، مشكاة المصابيح ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
20. الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، ( 1992 ) ، مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان داوودي ، دار القلم ، دمشق .
21. الزيلعي ، جمال الدين بن يوسف ، ( 1414 هـ ) ، تخريج الأحاديث والآثار ، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن ، دار ابن خزيمة ، ط 1 ، الرياض .

22. السباعي ، مصطفى ، ( 1987 )، من روائع حضارتنا ، المكتب الإسلامي ، ط 5 ، بيروت
23. الشافعي ، محمد بن إدريس، ( 1393 هـ ) ، الأم ، دار المعرفة ، ط 2 ، بيروت
24. الشافعي ، محمد بن إدريس، ( 1400 هـ )، أحكام القرآن ، تحقيق الدكتور عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
25. الشنقيطي ، محمد الأمين، ( 1995 )، أضواء البيان ، دار الفكر ، بيروت .
26. الطبري ، محمد بن جرير ، ( بدون تاريخ )، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
27. الطبري ، محمد بن جرير، ( 1405 هـ )، تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت .
28. الغزالي ، أبو حامد ، ( 1985 )، جواهر القرآن ، دار إحياء العلوم ، ط 1، بيروت .
29. الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب، ( بدون تاريخ )، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
30. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ( بدون تاريخ )، تفسير القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة .
31. القيسي ، مكي بن أبي طالب ، ( 1982 )، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، تحقيق أحمد فرحات ، دار المنارة ، ط 1 ، جدة
32. الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى، ( 1998 )، الكليات ، تحقيق عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

33. المالقي، محمد بن يحيى، (1405 هـ)، مقتل الشهيد عثمان، طبع دار الثقافة، ط1، قطر.
34. مجموعة من العلماء، بإشراف د عيسى زكي، (2000 م)، جامع الفقه الإسلامي، شركة حرف القاهرة.
35. النيسابوري الحاكم، (1990)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
36. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (بدون تاريخ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
37. الواحدي، علي بن أحمد، (1415 هـ)، أسباب النزول، دار القلم، ط1، دمشق.

